خواطر قبرسية

في العاشر من ايلول حتى الخامس عشر منه اجتمع على جبل عال في قبرس شبان ارثوذكسيون من المشرق العربي منضوين تحت لواء "سنذمس" وهو رابطة حركات الشبيبة الارثوذكسية في العالم ليتآلفوا في الصلاة ودراسة الكتاب. مطرح جميل هادئ، يدعو الى السلام. حاضرهم كاتب هذه السطور في مواضيع خمسة:1) سر الصليب 2) سر القرابين المقدسة والكنيسة، 3) العمل المسكوني، اسسه، واقعه ومرتجاه، 4) المال، 5) الحوار الاسلامي – المسيحي، كذلك تحدث اليهم الارشمندريت افرام رئيس دير القديس ميخائيل (بقعاتا لبنان) حول الحياة في المسيح وتحديات عالم اليوم. كذلك كلمهم الدكتور فادي ابو مراد عن مرتكزات النظرة الاخلاقية في علوم الحياة وتحاوروا مع طوني الصوري (طرابلس) حول فكر بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل كورنثوس وانتهوا بحديث آخر للاب افرام حول الصلاة الربية ودعاء الرب يسوع وهو احد مرتكزات التصوف الارثوذكسي.

وكان لهم لقاء مع الشبيبة الارثوذكسية في قبرس. الى هذا اقاموا عيد ارتفاع الصليب وصلواتهم اليومية في كنيسة القرية. هؤلاء في كل مناطقهم محور التحرك والنهضة الروحيين.

هذا هو القسم الاقليمي من رابطة عالمية متركزة عندنا وفي اوروبا الغربية والشرقية. الحركة اخذت تنتظم منذ ما يربو على خمسين سنة تتعمق وتطهر بغية انعاش المجموعة الكنسية التي هي منها بانفتاحها على المسيحيين الاخرين في الجمال الروحي والمناقبي البحت. يعيشون من الانجيل ويحاولون سبر اعماقه ليواجهوا متاعبهم وآمالهم ويحتضنوا الآخرين ويخدموهم مجانا وليس فيهم من الخوف شيء. والاقلية لا تستطيع ان تملك التاريخ ولكنها تشهد فيه تستضيء بما انزل عليها وتضيء بخفر وجرأة في آن. وتنجرح وتعض على الجرح ولا تنظر الى الوراء وما انكسر فيه. تنجلي وتتجلى بلا ادعاء ولا تقارن نفسها بمن سبق ولكنها تحنو على اطفالها وتريدهم افضل مما كانت هي عليه لانها ترييهم بما فيها من سلام وشفافية على هذا الكتاب البلوري الذي يسمى الانجيل. وتتلقاه بعلم وطاعة وتسلمه بما فيه من جمال ويبدو انها تغلب على العصبية وترضى بالرضاء الالهي الذي انسكب عليها كما لا يؤلمها انها قطيع صغير اذ اعطيت المعرفة التي طالما كانت مجال القلائل في كل الامصار والاجيال.

❦❦❦

ولا ترى نفسها طائفة اذا احتملت هذه المفردة معنى الفئوية. لا فئوية في الداخل ازاء من سبقها في النضال وكتب له المجد فيه. وبالاخص ليس من فئوية ازاء الاخرين اذ لهم سر وجودهم مع الله وجمالات.

وفي هذا انتهجت نهج الاسلاف اعلى مقدار من التقوى كانوا ام على قدر من معرفة الدنيا. ليس في هذا تمايز فالاشياء تأتي من تاريخ وتأتي من نباهة النفس ومن وضوح انتماء ينزل عليك من فوق وقد لا تعرف هذا ولكن يترك فيك حضارة همك ان تشرك الناس فيها والا تركزها على مذهبية تفهة. ربما كمن المجد عند هؤلاء ليقينهم الكبير انهم ورثوا المجد الالهي الذي لم يصنعوه وسموه بلفتهم استقامة الرأي على غير حكر. واما من احتكر فيؤثر نفسه اي يستلذ بشريته وماضيها او ادعاء ماضيها. موقف شبيبتنا يعطيها صلابة ولا يعطيها استعلاء وهي طالبة الملكوت في عرائه او طالبته في عمق معرفة للعلم وابعاده. لذلك لا يتشابه ابناء الملكوت وابناء هذا الدهر. وما كل هذه الابهة التي تحيط بنا في العبادات الا ترسخا في ملكوت الحق الذي نعلنه في بدء القداس اذا قلنا: "مباركة مملكة الاب والابن والروح القدس". لقد انقرضت بيزنطية تاريخيا وتبدينا في عزها وبعد انقراضها اعطت اوروبا كثيرا حتى ادركت نهضتها واعطينا العرب كثيرا حتى كونوا فكرهم وامدوا به اوروبا بدورهم.

هذا كله لا يعفينا من ضرورة ارتقائنا الروحي الى اعلى ذروة ونحن عن ذلك بعيدون ولكن صورة المجد موضوعة امامنا ولا علاقة لها بهذه الدنيا التي تتداعى امامنا بشكل مروع حتى يتساءل المرء ان كانت لا تزال قابلة للدعوة الروحية ام مرقت مروقا رهيبا. غير اننا مع كل المجاهدين ابناء الرجاء. الهامنا لانفسنا وللآخرين. اننا نؤمن بما حافظنا عليه على انه المنقذ من الضلال غير متناسين الحض الالهي: "انك لست باردا ولا حارا. ليتك كنت باردا او حارا. هكذا لانك فاتر ولست باردا ولا حارا انا مزمع ان اتقيأك من فمي" (رؤيا 3:15 و16). ارجو الا تقع الدينونة على الارثوذكسيين كلهم. لذلك كان لا بد ان يعقد شبابنا خلوة في اعالي قبرس في ايام خلت.

انا واثق في ان القطيع الصغير اذ سلم الحق اليه هو كالخميرة التي تخمر العجنة كلها. نحن المسيحيين الناطقين بالضاد مهما تقلص عددنا في هذا المشرق وهبنا الله ان نكون خميرة ولو جعلنا ابليس كسالى احيانا غير واعين الالهية التي نحمل. ليس اننا نتعالى في بشريتنا فهذا هو السقوط عينه. ولست اقول هذا لاني حريص على استمرار التعدد الثقافي في هذا الشرق. ما هو أعظم منه هو بساطة الانجيل والخدمة التي يحملها من عرف هذه البساطة. غير ان الطهر وحده لا يكفي. هو يعمل احيانا كثيرة وحده ولكن لا بد من رافد المعرفة. نحن حملنا هذه المعرفة في جاهلية العرب، في مكة على وجه التحديد يوم كان الناس جميعا اميين. وهذا ليس للافتخار ولكن لاقول ان الانجيل يدفعك الى المعرفة والى الخدمة بالمعرفة.

لا يقودني هذا الى القول اننا نطلب الحرية لانفسنا. نحن نريدها للجميع لانها وحدها تمكنك من العطاء الخصب. والحرية وحدها تجعلك تشعر ان الامة قامت بواجبها تجاه الحق حتى لا تبقى صماء بكماء فمن لا يعترف بحرية الجميع يكون خائفا الجميع ويكون قد كتب على نفسه الموت. والحرية تراقب ذاتها حتى تصلح سيرها وتصبح اعمق واشد. لان طبيعتها ليست ان تعبر بل ان تعرف الحق لان الوحي يقول عندنا: "وتعرفون الحق والحق يحرركم" (يوحنا 8:32). والذي ادرك الحق يفيض منه خلاصا. ومن هنا ان الحرية السياسية ليست فقط منحة دستورية ولكنها فرض الهي على الحكام الذين اعطوا السلطان من اجل ان يحكم الله الناس.

من عرف ذلك يفهم ما قاله روحانيو الشرق المسيحي: "ان الخطيئة عدم الاحساس". من احس كثيرا يمسك عن كل معصية بما فيها ذنوب الحياة السياسية. لذلك كان على الحاكم ان يكون الهيا. كل كلام عن اصلاح شعوبنا العربية يبدأ هنا. فإن لم ترد هذه ان تحكمها الكلمة الالهية لن يبقى لها كلمة بشرية صالحة. لذلك لا يعني لي شيئا جهاد الكلام السياسي ما لم يأت صورة في الدنيا عن المتطلبات الالهية. نحن نختلف على شؤون الارض ليس لاننا ضحايا اختلاف على شؤون السماء ولكن عينا لاننا لا نؤمن بالسماء. "لتكن مشيئتك على الارض كما في السماء" لا تنحصر فقط في اننا اسلمنا افراداً لله ولكنها تعني اننا سلمنا الى الرب شؤون الارض بواسطة السياسة. اذ ذاك تصبح هذه عملا تقديسيا للقائمين بها وللبلد.

ما عدا ذلك غدت السياسة كبرياء وتفها: ما هي الآمال وسط الشقاء الكبير والفقر العميم والخوف من عظماء الارض اليوم؟ لا احد يستطيع ان يجيب لا في بلدنا ولا في العالم. ولكن مع الجهل بهذا يبقى لنا الرجاء وان ننشئ جماعات صغيرة مؤمنة يخصبها العطاء الالهي. اذكر ان اندره جيد قال لنا منذ خمسين عاما في سينما روكسي في بيروت "ان الاقلية تخلص العالم". هذه الاقلية يختارها الله من اية جهة يشاء.

اردنا نحن في قبرس ان نلتمس من الرب ان يجعلنا من هذا القطيع الصغير. ولمست في هذا القطيع حلاوة وتأهبا لالتماس وجه الله. عندما يحزنني كبار القوم او المدعوون كذلك يخفف وطأة حزني هذا الشباب الحي، الطريء.

المطران جورج خضر